بيده، لقد رأيتُ مَشْيَخَةَ أصحابِ رسول الله ﷺ الأكابر يسألونَها عن الفرائض. وأخرجه الطبراني بلفظه وإسناده حسن؛ كما قال الهيثمي (٩/ ٢٤٢). وأخرج ابن سعد (٤/ ١٨٩) عن محمود بن لبيد قال: كان أزواجُ النبيِّ ﷺ يَحْفَظْنَ من حديث النبيِّ ﷺ كثيراً ولا مثلاً لعائشة وأمِّ سلمة رضي الله عنهما، وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أنْ ماتت يَرْحَمُها الله، وكانَ الأكابرُ من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يُرْسِلانِ إليها فيسألانها عن السنن.

وأخرج الطبراني عن معاوية رضي الله عنه قال: واللهِ ما رأيتُ خطيباً قطُّ أبلغ ولا أفصَحَ ولا أفطَنَ من عائشة. قال الهيثمي (٩/ ٢٤٣): رجاله رجال الصحيح. وعنده أيضاً عن عروة قال: ما رأيتُ امرأةً أعلَمَ بطِبٍّ ولا بفِقْهٍ ولا بشِعْرٍ من عائشة. وإسناده حسن، كما ذكر الهيثمي (٩/ ٢٤٢). وأخرج البزّار ـ واللفظ له ـ وأحمد والطبراني في الأوسط والكبير عن عروة قال: قلت لعائشة: إني أفكر في أمرك فأعجَبُ، أجِدُكِ مِنْ أفقَهِ النَّاسِ فقالت[1]: ما يمنعها زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر!! وأجِدُكِ عالمةً بأيام العرب وأنسابها وأشعارها، فقلت: وما يمنعها وأبوها علاّمة قريش!! ولكنْ أعجبُ أني وَجَدْتُكِ عالمةً بالطِّبِّ فمن أينَ؟ فأخذت بيدي فقالت: يا عُرَيَّة[2] إنَّ رسولَ الله ﷺ كثرت أسقامُهُ فكانت أطِبّاءُ العَرَبِ والعجم يَبْعَثونَ له فَتَعَلَّمْتُ ذلكَ. وفي رواية أحمد: وكنتُ أعالجها له، فمن ثَمَّ قال الهيثمي (٩/ ٢٤٢): وفيه عبد الله بن معاوية الزبيري قال أبو حاتم: مستقيم الحديث وفيه ضعف وبقية رجال أحمد والطبراني في الكبير ثقات ـ انتهى.

العلماء الربانيون وعلماء السوء

قول ابن مسعود لأصحابه في هذا الأمر

أخرج ابن عبد البرّ في جامع العلم (١/ ١٢٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أنه قال لأصحابه: كونوا ينابيعَ العلم، مصابيحَ الهدى: أحلاسَ البيوت[3] سُرُجَ اللَّيلِ، جُدُدَ القُلوبِ، خُلْقانَ[4] الثِّيابِ، تعرفون في السماء وتخفون على أهل الأرض. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٧٧) عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ بمعناه إلا أنَّ في روايته: وتذكروا به في الأرض، بدل قوله: وتخفون على أهل الأرض.

---

(١) كذا في الأصل، والظاهر «فقلت» ويؤيده رواية أحمد (٦/ ٦٧) بلفظ «أقول».

(٢) تصغير عروة.

(٣) «أحلاس البيوت»: ملازمي البيوت.

(٤) «خلقان»: جمع خَلِق وهو البالي.

قول ابن عباس في العلماء الربانيين

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٥) عن وَهْب بن مُنَبِّه قال: أخبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنّ قوماً عند باب بني سَهْم يختصمون ـ أظُنُّهُ قال: في القدر ـ فنهض إليهم وأعطى محجنه[1] عكرمة، ووضع إحدى يديه عليه والأخرى على طاوس، فلما انتهى إليهم أوسعوا له، ورَحُبُوا به فلم يَجْلِسْ، فقال لهم: انتسبوا لي أعرفكم، فانتسبوا له ـ أو من انتسب منهم ـ فقال: أوَ ما علمتم أنّ للّهِ عباداً أضْمَنَتْهُمْ خشيته من غير بكم ولا عيّ، وإنهم لَهُمُ العلماءُ والفصحاء والطُّلقاء[2] والنُّبلاء[3]، العلماء بأيّام الله عزّ وجلّ، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله عزّ وجلّ طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارَعُوا إلى الله عزّ وجلّ بالأعمال الزاكية، يعدّون، أنفسهم مع المفرطين وإنهم لأكياسٌ أتقياء، ومعَ الظالمين والخطّائين، وإنهم لأبرار برآء[4] إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلون عليه بالأعمال، هم حيثما لقيتهم مهتمّون مشفقون[5] وَجِلُون خائفون؛ قال: وانصرف عنهم فرجع إلى مجلسه.

أقوال ابن مسعود وابن عباس في علماء السوء

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: لو أنّ أهلَ العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا[6] أهلَ زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم، سمعتُ نبيكم ﷺ يقول: «مَنْ جَعَلَ الهمومَ هَمّاً واحداً ـ هَمَّ المعادِ ـ كَفَاهُ اللّهُ سائرَ الهموم، وَمَنْ شَعَّبَتْهُ[7] الهُمُومُ (في) أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أيّ أوديتها هَلَكَ». كذا في الكنز (٥/ ٢٤٣). وأخرجه ابن عبد البرّ في جامع العلم (١/ ١٨٧) عن ابن مسعود نحوه. وأخرج ابن عبد البرّ في جامع العلم (١/ ١٨٨) عن سفيان بن عيينة قال: بلغنا عن ابنِ عبّاس أنه قال: لو أنّ حَمَلَةَ العِلْمِ أخَذُوهُ بحقّه وما ينبغي، لأحَبَّهُمُ اللّهُ وَمَلائِكَتُهُ والصّالحونَ وَلَهَابَهُمُ النّاسُ، وَلَكِنْ طَلَبُوا بهِ الدُّنيا فأبْغَضَهُمُ اللّهُ وهانُوا على النّاسِ. وأخرج عبد الرزاق عن ابن

---

(١) «المحجن»: عصا معقوفة الرأس. «النهاية» (١/ ٣٤٧).

(٢) «الطلقاء»: جمع طليق وهو الفصيح.

(٣) «النبلاء»: جمع نبيل وهو ذو النجابة والفضل.

(٤) «برآء»: جمع بريء.

(٥) «مشفقون»: خائفون.

(٦) أي لصاروا سادة.

(٧) «شعبته»: فرّقته «النهاية»: (٢/ ٤٧٧).

مسعود رضي الله عنه أنّهُ قال: كيفَ بكم إذا لبستكم فتنةٌ يربو[1] فيها الصغير، ويهرم فيها الكبيرُ وتُتخذ سُنّة؛ فإن غُيّرت يوماً قيل: هذا منكر؟ قيل[2]: ومتى ذلك؟ قال: إذا قلّت أمناؤكم، وكَثُرَتْ أمراؤكم، وقلّتْ فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتفقّه لغير الدين، والْتمست الدُّنيا بعملِ الآخِرَة، كذا في الترغيب (١/ ٨٢). وأخرجه ابن عبد البرّ في العلم (١/ ١٨٨). بمعناه. وفي روايته: وَتُتَّخذُ سُنّة مُبْتَدَعة يَجْري عَلَيها النّاسُ، فإذا غُيّر منها شيءٌ قيلَ: قدْ غُيّرتِ السُّنّةُ، وزاد: وَقلّ فقهاؤكم، وكثر أمراؤكم.

أقوال أبي ذرّ وكعب وعلي في طلب العلم للدنيا

وأخرج ابن عبد البرّ في العلم (١/ ١٨٧) عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: تعلّمْنَ أنّ هذه الأحاديثَ التي يُبْتَغى بها وجه الله تعالى لا يتعلّمها أحدٌ يريد بها عَرَضَ الدنيا ـ أو قال: لا يريدُ بها إلا عَرَضَ الدنيا ـ فيجد عرف[3] الجنة أبداً. وعنده أيضاً (٢/ ٦) عن أبي معن قال: قال عمر لكعب ـ رضي الله عنهما ـ: ما يُذْهِبُ العِلْمَ مِنْ قلوبِ العُلماء بعد أنْ حَفِظُوهُ وَوَعَوْهُ؟ فقال: يُذْهِبُهُ الطَّمَعُ وَتَطَلُّبُ الحاجاتِ إلى النّاس. وأخرج عبد الرزاق عن عليّ رضي الله عنه: أنّهُ ذكر فتناً تكون في آخر الزمان فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: متى ذلك يا عليّ؟ قال: إذا تُفقّه لغيرِ الدين، وتعلّم العلم لغير العمل، وَالْتُمِسَتِ الدُّنيا بعملِ الآخِرَة. كذا في الترغيب (١/ ٨٢).

تخوّف عمر على الأمة من علماء السوء

وأخرج ابن عبد البرّ في العلم (٢/ ١٩٤) عن عمر قال: إنما أخافُ عليكم رَجُلَيْن: رجلٌ يتأوّلُ القرآنَ على غير تأويلِهِ، وَرَجُلٌ يُنافِسُ[4] المُلْكَ على أخيه. وأخرج ابن أبي شيبة الجزء الأول، كما في الكنز (٥/ ٢٣٣). وأخرج ابن سعد وأبو يعلى عن الحسن قال: لمّا قَدِمَ وفدُ البَصْرَة على عمر فيهم الأحْنَفُ بن قيس سَرّحَهُمْ وَحَبَسَهُ عنده حَوْلاً، ثم قال: هَلْ تدري لمَ حَبَسْتُكَ؟ إنّ رسولَ الله ﷺ حَذّرَنا كلّ منافق عليم اللسان، وإني تَخَوّفْتُ أنْ تكونَ مِنْهُمْ وَلَسْتَ مِنْهُمْ إنْ شاء الله، وأخرج البيهقي وابن النجار عن أبي عثمان النّهدي قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول على المنبر: إيّاكم والمنافق العالم، قالوا: وكيفَ يكونُ المنافق عليماً؟ قال: يتكلّمُ بالحقّ ويعملُ بالمنكر. وعند جعفر الفريابي وأبي يَعْلى ونصر

---

(١) «يربو»: يكبر.

(٢) في الأصل: قال. وهو خطأ.

(٣) «عرف الجنة»: ريحها الطيبة.

(٤) من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد به.

وابن عساكر عن عمر قال: كنا نتحدّثُ إنما يُهلِكُ هذه الأمةَ كُلُّ منافِقٍ عَلِيمُ اللسانِ. كذا في الكنز (٥/ ٢٣٢) وعند مسدّد وجعفر الفريابي عن أبي عثمان النّهدي قال: سمعتُ عمر ابن الخطاب يقولُ على المنبر: إنَّ أخوفَ ما أخافُ على هذه الأمّة المنافق العليم: قالوا: وكيف يكونُ منافقٌ عليمٌ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: عالمُ اللسانِ جاهلُ القلب والعمل، كذا في الكنز (٥/ ٢٣٣).

تحذير حذيفة وابن مسعود العلماء من أبواب الأمراء

وأخرج ابن عبد البرّ في العلم (١/ ١٦٧) عن حذيفة رضي الله عنه قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يَدْخُلُ أحَدُكم على الأمير فَيُصَدِّقُهُ بالكذِبِ، ويقول له ما ليس فيه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ على أبواب السّلاطين فتناً كمبارِكِ الإبل، والذي نفسي بيده لا تصيبونَ مِنْ دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله ـ أو قال: مثليه.

ذهاب العلم ونسيانه

قوله عليه السلام: «هذا أوان يرفع العلم» ومعنى ذلك

أخرج الحاكم (١/ ٩٩) عن عوف بن مالك الأشجعيّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً، فقال: «هذا أوانُ يُرْفَعُ العِلْمُ»، فقال له رجلٌ من الأنصار يقال له ابن لبيد: يا رسولَ الله كيفَ يُرْفَعُ العلمُ وقد أُثْبِتَ في الكتاب وَوَعَتْهُ القُلُوبُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنْ كُنتُ لأَحْسَبُكَ مِنْ أَفْقَهِ أهلِ المدينةِ» ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله، قال: فلقيتُ شدّاد بن أوس رضي الله عنه فحدّثته بحديث عوف بن مالك فقال: صَدَقَ عَوفٌ، ألا أُخبِرُكَ بأوّلِ ذلك يُرْفَعُ؟ قلت: بلى، قال: الخشوعُ حتى لا تَرَى خاشعاً. قال الحاكم: هذا صحيح، وقد احتجّ الشيخان بجميع رواته، وكذا قال الذهبيّ. وأخرجه البزّار والطبراني في الكبير عن عوف نحوه، كما في مجمع الزوائد (١/ ٢٠٠). وأخرجه ابن عبد البرّ في العلم (١/ ١٥٢) بنحوه وفي روايته: فقال له رجلٌ من الأنصار يقالُ له زياد بن لبيد[1]: يرفعُ عنا يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد عَلّمناه أبناءنا ونساءنا!!. وفي روايته: ثم قال شدّاد: هَلْ تَدْرِي ما رَفْعُ العِلْمِ؟ قال: قلت لا أدري، قال: ذهابُ أوْعِيَتِهِ، هل تَدْرِي أيُّ

(١) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة، أبو عبد الله، خرج إلى رسول الله ﷺ، وأقام معه بمكّة حتى هاجر مع رسول الله ﷺ إلى المدينة فكان يقال له: مهاجري أنصاري. شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله ﷺ واستعمله رسول الله ﷺ على حضر موت «أسد الغابة» (٢/ ٢٧٤).